﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾ [السجدة: 28 - 30]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الانتقال من الأدلَّة اليقينيَّة على البعث إلى موقف المنكرين

لمّا ذكرت الآيات السابقة الأدلَّة والبراهين على البعث اليقين؛ ناسب بيان موقف المشركين من البعث والإحياء بعد الموت، مع الإرشاد إلى اتِّخاذ موقفٍ حاسمٍ في القضايا الكبرى الحاسمة، فإنَّ المنكرين إذا أصرُّوا على كفرهم وإنكارهم؛ فلا ينفعهم بصر أو بصيرة، ولا رؤية أو رأي، ولا علم أو معرفة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡفَتۡحُ﴾: (فتح) أصلٌ يدلُّ على إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه، وكفتح القفل والغلق والمتاع، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾ [يوسف: 65]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحجر: 14]، والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهمِّ، وهو إزالة الغمِّ[1]، والفتح الفصل بين جماعتين، واختلف في المراد بالفتح في الآيات، فقيل: الفتح الأول هو يوم نصر المؤمنين على الكافرين، وقيل: القيامة، والفتح الثاني، قيل: العذاب، وقيل: القيامة[2].

2) ﴿يُنظَرُونَ﴾: (نظر) أصلٌ صحيحٌ ترجع فروعه إلى معنًى واحد وهو تأمُّل الشَّيء ومعاينته، ثمَّ يُستعار، ويُتَّسَعُ فيه[3]، ومن المعاني المتعلِّقة بالفعل (نظر)، وهو المعنيُّ في الآية: الإمهال

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (فتح).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 198.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).

والانتظار المأخوذ اشتقاقيًّا مِنَ التَّرقُّب والتفحُّص؛ لأنَّ التفحُّص والتَّأمُّل يستغرقان زمنًا، أي: لا يُؤخَّرون للتوبة والمراجعة[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تهكُّمُ الجاهل حتفُه وحذر العاقل نجاته

تُبيِّن الآية الكريمة ما كان من المؤمنين بتحدّيهم المشركين بأنَّ الله سيفتح بينهم، وينصرهم، وتظهر حُجَّتهم، فكان الكافرون يُكرِّرون التَّهكُّم بالمسلمين بالسؤال عن وقت هذا الفتح استفهامًا مستعملًا في التكذيب[2]، فكان الردُّ عليهم بأنَّه يومٌ سيُقاسون فيه، ولن ينفعهم إيمانهم المزعوم، وعلى الرَّسول ﷺ الإعراض الوقتي عنهم مع التهديد بأنَّ ما ينتظرهم قاسٍ وشديد.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الإيجاز والحذف:

الأقوالُ المذكورة كاشفة عن أفعال مطويّة

في الكلام حذفٌ وطيٌّ، وتقديره: وبعد ما سمعوا منك - يا أكمل الرُّسل - أنَّ ربَّك يفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، يقولون مستهزئين متهكِّمين: (﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ ...)[3]؛ لأنَّهم لن يقولوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ إلّا إذا كان قد قيل لهم: (إنَّ هناك فتحًا وفصلًا بيننا وبينكم)، فردَّ كُفّار مَكَّة بالاستفهام المنطوي على الاستهزاء والسخرية، فكانت جملة: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ صادرةً بسبب مواقف موجودة.

نوعُ الواو ودلالتها:

تحتمل الواو الاستئناف والعطف

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استئنافيَّة، جاءت ردًّا على استهزاء المشركين وسخريتهم[4]، وتحتمل أن تكون عطفًا على جملة: ﴿ثُمَّ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، أي: أعرضوا عن سماع الآيات والتَّدبُّر فيها،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 199.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 242.
(3) الشيخ علوان، الفواتح الإلهية: 2/ 144.
(4) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 590.

وتجاوزوا ذلك إلى التَّكذيب والتهكُّم بها[1]، بل يسألون عن يوم الفتح بغرض الهزءِ والسخرية.

بلاغةُ التَّعبير بصيغة المضارع:

تصوير قولهم الساخر للتَّعجيبِ من جهلهم

جاء التَّعبير بصيغة المضارع: ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ لتصوير قولهم الدالِّ على الاستعجال والتكرير مع التورُّك على المسلمين الضعاف، والتمادي في السُّخرية منهم، وفيه إفادة التَّعجيب منه، كقوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾ [هود: 74]، مع إفادة تكرُّر ذلك منهم واتِّخاذهم إيّاه[2]، والتَّعبير بواو الجماعة فيه دليلٌ على اتِّفاقهم على القول وتماديهم فيه، فكأنَّه شُغْلُهم الشاغل لا ينفكُّون عنه، ولا يتزحزحون.

بلاغةُ الاستفهامِ وغرضُه:

مقتلُ المُكذِّب غرورُه وهلاكُ المنكر عنادُه

دلَّ الاستفهام باسم ﴿مَتَىٰ﴾ المتعلِّق بالزمن على البُعد والسخرية مع غرور واستخفاف بالوعيد، فقد كان هذا النَّصر غايةً بعيدة المنال أمام المؤمنين، فما زالوا قلَّة مُستَضعفة[3]، مع ما فيه من معنى الاستبطاء، والمعنى: لقد طال انتظارنا لهذا اليوم الذي يتمُّ فيه الحكم بيننا وبينكم، فإن كنتم صادقين في قولكم، فادعوا ربَّكم أن يعجِّل بهذا اليوم[4].

فائدةُ ذِكر اسم الإشارة القريب:

آثر النَّظم الكريم ذِكرَ اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾، في قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾، مع إمكان الاستغناء عنه بذكر ﴿ٱلۡفَتۡحُ﴾، ونكتته: بيان تحقيرهم وقلَّة اكتراثهم بهذا الفتح[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 242.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 243.
(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 11872.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 157.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 243.

بلاغةُ استعمال لفظ ﴿ٱلۡفَتۡحُ﴾:

جاء استعمال لفظ الفتح، في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾؛ لاستكمال قصد المشركين التهكُّميِّ، فهم يردِّدون كلمة الفتح التي تداولها المؤمنون بقصد بيان نصر الله تعالى، على اختلاف المفسِّرين في المراد بها[1]، والَّتي تداولها المشركون ترديدًا لما قاله المؤمنون بقصد الهزء والسُّخرية، فدلَّت لفظة الفتح على أزمان مختلفة مع إشارتها إلى الحكم والقضاء والنُّصرة، وسَعتها الدِّلاليَّة مقصودة بالإضافة إلى مقصود السياق من إيراد هذه اللَّفظة.

إبـرازُ مقصود المتكلِّم من خصائص نظم القرآن

نكتةُ استعمال ﴿إِن﴾ دون (إذا):

استعمل النظم الكريم لفظَ ﴿إِن﴾ الدّالَّ على عدم يقينيَّة تحقُّق المشروط، في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، مع أنَّ المؤمنين قطعًا صادقون؛ لبيان موقف المشركين، لا لبيان حقيقة الأمر المبين.

غرضُ الإتيان بالجملة الشَّرطيَّة:

جاء التَّعبير بالجملة الشرطيَّة: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، بعد جملة الاستفهام: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾؛ لبيان لحن قولهم، وجهلهم بأمور الاعتقاد الحقِّ، فإنَّ العلم بالشيء إجمالًا لا يقتضي العلم بتفصيل أحواله حتّى يُنسب الذي لا يعلم تفصيلَهُ إلى الكذب في إجماله، والمعنى هنا: إن كنتم صادقين في أنَّه واقع؛ فبيِّنوا لنا وقته، فإنَّكم إذ علمتم به دون غيركم، فلتُعلِموا وقته[2]، فدلَّت جملة: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾ على الجواب المحذوف، والتقدير: إن كنتم صادقين؛ فمتى هذا الفتح؟.

الجـهـل بالمعتقدات يقود إلى تكذيب الصادقين

فائدة ذكر ﴿كُنتُمۡ﴾:

ذكر النَّظم الكريم فعل ﴿كُنتُمۡ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ بغرض بيان شدَّة التَّهكُّم، فإنَّ فعل ﴿كُنتُمۡ﴾ دالٌّ على أنَّ

تهكُّمُ المكذِّب يُحيط بالصِّدق كلِّه زمانًا ومكانًا

(1) الماوردي، تفسير النكت والعيون: 4/ 368.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 243.

الصِّدق ديدنهم، والمشركون يُشكِّكون في هذه القضيَّة، فآل الأمر إلى زيادة التَّهكُّم، فكأنَّهم يقولون: إن كنتم صادقين في كلِّ أوقاتكم، فهو تشكيكٌ في كلِّ ما يدَّعون صِدقهم فيه، فضمَّ الفعل زمنين، الماضي والحاضر، فهو يشير إلى "اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرُّض للانقطاع، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: 96]، ولذلك يُعبَّر عنها بأنَّها ترادُفٌ لم يزل"[1]، وفي مجيء ﴿كُنتُمْ﴾ محافظة على رؤوس الآي المنتهية بالنون المسبوقة بحرف مدٍّ.

بلاغةُ فعل الأمر وغرضه:

تأييدُ المؤمنين ووعيد المكذِّبين سنَّةُ ربِّ العالمين

أفاد فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ وجوبَ الاستجابة إلى تنفيذ أمر الله بالمواجهة الصَّريحة، وتبليغ ما به أُرسِل، فللدَّعوة رسولٌ يذود عنها بكلِّ قُوَّةٍ، وهو يستمدُّ قوَّته من الله تعالى، فالله هو المؤيِّد، وهو النّاصر، فإذا علَّمه هذا القول؛ فهو ناصره، وفيه تهديدٌ ووعيد بالمتهكِّمين به وبالمؤمنين.

نكتةُ إضافة ﴿يَوْمَ﴾ إلى ﴿ٱلْفَتْحِ﴾:

براعةُ الجواب مع تحقيق البشارة والنذارة

أُضيف الظرف في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ إلى لفظ ﴿ٱلْفَتْحِ﴾، وفي الإضافة جواب عن ﴿مَتَىٰ﴾ الدالَّة على الزَّمان، فكان ذِكرُ الظَّرف تعيينًا لزمانه، فلمحت الإضافة السؤال، مع الدِّلالة على سرعة الفصل بذكر لفظة ﴿يَوْمَ﴾، وفي هذا تقريب للبشارة المتعلِّقة بفريق الإيمان، مع الزَّجر والتَّخويف المتعلِّقَين بفريق الكفار.

نكتةُ إظهار لفظ ﴿ٱلْفَتْحِ﴾:

مقابلةُ الهزءِ بقوَّة البيان لا بالتَّواري والاختزال

تعريفُ لفظ ﴿ٱلْفَتْحِ﴾ للعهد[2]، وقد أُظهر هذا اللفظ لتربية المهابة والخوف في النُّفوس، فإنَّه يومٌ عظيم يُفصَل فيه بين الحقِّ

(1) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 100.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 366.

والباطل، ولبيان أنَّ هذا الفتح الذي تَسْخَرون مِن مجيئه سيكون، فقابل تهكُّمَهم بقوَّة البيان، لا بالتَّواري بالإضمار والاختزال، وهذه تربيةٌ بديعة من نظم القرآن، فإنَّ شأنَ أهلِ الحقِّ ألّا يخجلوا من حقِّهم الذي يُؤمنون به، فعليهم أن يُواجهوا بكلمات الثَّبات والإيمان، وأن يأتوا على المكذِّبين بالكرِّ بعد الفرِّ.

بلاغةُ الكناية:

نفيُ نفعِ الإيمان نفيٌ للإيمان أصالة

النَّفعُ ما يُستعان به في الوصول للخيرات، وما يتوصَّل به للخير[1]، فدلَّ فعل ﴿يَنفَعُ﴾ على استمرار الخير وديمومته مع استحضار صورته، ونفيه في هذه الآية دالٌّ على تبكيتٍ وسُخريةٍ مِنَ الذين كفروا، وذهاب إيمانهم هباءً منثورًا إن وُجد، فمعنى: ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾: أنَّهم لا إيمان لهم حتّى ينفعهم[2]، فهي كنايةٌ عن انعدام الإيمان المقبول؛ بقصد الحضِّ عليها، وهذا شأن النَّظم المعجز، بثُّ قيم الهداية في ثنايا الكلام والتراكيب.

بلاغةُ الإظهار في موضع الإضمار:

الكفرُ سببُ الخيبةِ للمستهزئين وغيرهم

إظهار لفظ المفعول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ في مقام الإضمار، في قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾، فلم يقل: (لا ينفعهم إيمانهم)؛ لقصد التسجيل عليهم بأنَّ كفرَهم هو سببُ خيبتهم[3]، مع كونه تعميمًا بعد تخصيص[4]؛ لأنَّ الكفّار فيهم مَن استهزأ، ومَن لم يستهزئ، فكان قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ عامًّا لجميع الكفّار.

غرضُ استعمال الاسم الموصول دون الظاهر:

التَّعليلُ بما في حيِّز الصِّلة وإظهار ثباتهم على الكفر

آثر النَّظم الكريم استعمالَ الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ دون الاسم الظاهر (الكافرين)؛ لبيان أنَّ كفرهم ثابتٌ، وهو

(1) الراغب، المفردات: (نفع).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 138.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 242.
(4) الشهاب، حاشية الشهاب: 7/ 155.

سبب ما هم فيه مِن الخسران المبين يوم الفصل العظيم، و"إتيان الموصول الماضي قُصد به الالتباس والاستصحاب"[1]، إضافةً إلى أنَّ الاسم الموصول مع الفعل الماضي دلَّ على زمان ماضٍ مُحَدَّدٍ، كما أنَّ الضمير (واو الجماعة) في ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ فيه إظهار قصدية الكفر والتَّوجُّه إليه بكلِّ حواسِّهم ومشاعرهم، فكان التَّعبير بالاسم الموصول محقِّقًا المقصودَ مِنَ الكلام.

نكتةُ تقديم المفعول على الفاعل:

حسنُ البيان في تكرير ما يدعو إلى التَّحسير

قُدِّم المفعول به ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ على الفاعل ﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾؛ للإيجاز وحسن البيان، ولو جاء الفاعل متقدِّمًا؛ لقيل: (لا ينفع إيمان الذين كفروا أنفسهم) ونحو ذلك، ولا يخفى قوَّة ما جاء عليه النَّظم المعجز، بالإضافة إلى أنَّ الفاعل فيه ضمير يعود على المفعول به المتقدِّم، وتقدُّمُ الفاعل ﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾ على المفعول به ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ حينئذٍ مُمتنَعٌ حتّى لا يعودَ الضَّميرُ على متأخِّرٍ لفظيٍّ، وتقديم المفعول على الفاعل، معناه ذكر الكافرين مرتين، مرَّة بالاسم الموصول، ومرَّة بالضَّمير في ﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾، وتكرار الذِّكر تكرير للتَّبكيت والتحسير بعدم نفع الإيمان، ففي التَّكرير زيادة تقرير.

فائدةُ إضافة الإيمان إلى الضَّمير:

أُضيفَ لفظُ الإيمان إلى الضَّمير؛ لتحقيق نكتة تقديم المفعول على الفاعل، وللتَّهكُّم بهم، فلا إيمان لهم أصلًا، وللتَّنبيه على الإيمان النّافع، وهو إيمان المؤمنين، فهو مدحٌ لهم، وقدحٌ للكافرين.

بلاغةُ الأسلوب الحكيم:

توجيهُ الأذهان إلى النافع على التحقيق لا إلى غيره عند التدقيق

لمّا كان سؤالُ الكافرين عن يوم الفتح سؤالَ استهزاءٍ وسخريةٍ؛ أمر الله رسوله ﷺ بأن يجيبهم على طريقة الأسلوب الحكيم بأنَّ يوم الفتح الحقِّ هو يوم القيامة، وهو يوم الفصل، حين ينقطع

(1) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 1/ 187.

أمل الكفّار في النَّجاة والاستفادة من النَّدامة والتوبة، فلا يجدون إنظارًا لتدارك ما فاتهم، مع ما في هذا الجواب من الإيماء إلى أنَّ زمن حلوله غيرُ معلوم للنّاس، وأنَّه ممّا استأثر اللّٰه بعلمه؛ فعلى الكيِّس الفطن الاحتياط للنَّجاة، فتقرَّر الأسلوب الحكيم من العدول عن تعيين يوم الفتح المسؤول عنه، إلى تعيين يوم الفتح الحقِّ[1]، الذي يجب أن يسألوا عنه، ففائدة هذا الأسلوب هو التَّنبيهُ على أنَّه ليسَ ممّا ينبغي أنْ يُسألَ عنه؛ لكونِه أمرًا بيِّنًا غنيًّا عن الإخبارِ به، وإنَّما المحتاجُ إلى البيانِ عدمُ نفعِ ذلك الإيمانِ وعدمُ الإنظارِ[2].

نوعُ الواو ومعناها:

نـفـيُ الـتَّـأخـير زيـــــادةٌ في التَّحسير

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ حرف عطف على جملة: ﴿لَا يَنفَعُ﴾[3]، ومجموع الجملتين أفاد التَّهديد والوعيد، فإيمانهم غير نافع؛ ليُنقذهم من العذاب، ولا يؤخّرون عن العذاب، ونفي التَّأخير زيادة في التحسير، وفيه إلماح إلى ضرورة الاستعداد للعذاب المنتظر، وهذا العطف من شواهد عطف الجملة الاسميَّة المنفيَّة على الفعليَّة المنفيَّة.

بلاغةُ تقديم المسند إليه المنفيّ على المسند الفعليّ:

تقوية الحُكم وتقريره في ذهن السامع لأهمّيَّة مضمونه وبالغ خطورته

قُدِّم المسندُ إليه المنفيُّ على الخبر الفعليِّ، في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ لإفادة تقوية الحكم الإسناديِّ[4]، وتقريره في ذهن السّامع عن طريق تكرُّر الإسناد، حيث نجد الحديث عنهم تكرَّر مرَّتين: مرَّةً بالضَّمير المنفصل ﴿هُمْ﴾، ومرَّةً بالضَّمير المتَّصل في فعل ﴿يُنظَرُونَ﴾؛ لأنَّ الجملة من الفعل والفاعل خبر عن هذا الاسم المتقدِّم، وقد تتأتَّى التقوية من كون الجملة صارت جملة اسميَّة لا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 242.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 88.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 137.
(4) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص: 232.

فعلية، والاسميَّةُ أشدُّ توكيدًا وثباتًا، وفي هذا إشارةٌ إلى انعدام الإمهال، وسرعة العذاب.

نكتةُ استعمالِ مفردة ﴿يُنظَرُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

تعدُّد الدلالة بين نفي الإمهال وإثبات الإهمال نفيٌ للرَّحمةِ وإثباتٌ للعذاب

جاء استعمال مفردة الإنظار في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، والإنظار هو الإمهال والتأخير عن العذاب، فعذابهم عاجل لا يقبل التأخير، مع ما في هذا الفعل من إماحة إلى معنى نظر الرحمة، فنفى عنهم الظّاهر، وهو الإمهال، والمعنى الإشاري وهو نفي الرحمة عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: 77]؛ لأنَّ النظر يُعطي شيئًا من الحنان والشفقة، وبذلك تكون لا يُنظرون، أي: لا ينظر إليهم أبدًا، فكأنَّهم أهملوا إهمالًا تامًّا[1]، والتَّعبير بصيغة المضارع الواقع خبرًا، فيه إشارة إلى أنَّ النفي هو للإنظار والإمهال، فلا يقع الإنظار بتاتًا فضلًا عن الاستمرار، وبُني الفعل للمفعول دون الفاعل، فلم يقل: (ولا يُنظِرهم)؛ لحسن البيان في بناء النظم على ما جاء عليه، ولإفادة عموم نفي الفعل.

نوعُ الفاء ودلالتها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هي الفصيحة المُفصِحة عن مقدَّر محذوف، والتقدير: إذا علمت حال هؤلاء الذين كفروا يوم القيامة، فأعرض عنهم.

بلاغةُ فعل الأمر وغرضه:

الأمرُ بالإعراض يعني التَّهديد بنفاد العذر في الإبلاغ

دلَّ الأمرُ في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ على انحسام الموقف بين النَّبي وأهل الشِّرك من قومه؛ لأنَّه بلَّغ رسالةَ ربِّه، وبذل أعلى جهده في إبلاغها مبشرًا ومنذرًا، فلم يزدهم ذلك إلّا عنادًا وضلالًا[2]، فغرض الأمر التَّأييس من إيمان المجادلين من الكافرين

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 2/ 681.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 631.

المتصدّين للتَّمويه على دهمائهم، وهذا إعراضٌ متاركة عن الجدال وقتيًّا لا إعراضٌ مستمِرٌّ[1] عن الكفّار، وأُكِّد دلالة الإعراض بحرف الجرِّ (عن) الدالِّ على المجاوزة والإهمال، وفي الأمر إشارة إلى أنَّه ينبغي الإعراض عن المنكرين المستهزئين بالعارفين والسالكين؛ إذا لم ينجع فيهم الإرشاد والنَّصيحة[2]، وتسلية الرسول ﷺ، فالداعي رفيق، والهادي شفيق، مع تهديدهم وتخويفهم[3].

دلالةُ العطف بالواو:

بعد الأمر بالإعراض جاء الأمر بالانتظار، في قوله تعالى: ﴿وَٱنتَظِرۡ﴾، واقتضى العطفُ الجمع بين أمرين: الإعراض عن الكافرين جملة، وانتظار مجيء الحقِّ، ففيه بالغ التهديد بنفاد العذر المبين.

دلالةُ حذف المفعول:

رُبَّ محذوفٍ أبلغ من مذكورٍ

حذف مفعول ﴿وَٱنتَظِرۡ﴾؛ للتهويل، أي: انتظر أيّامًا يكون لك فيها النَّصر، ويكون لهم فيها الخسران، ففي الأمر بالانتظار تعريضٌ بالبشارة للمؤمنين بالنظر، وتعريضٌ بالوعيد للمشركين بالعذاب في الدارين[4]، مع حذْفِهِ في اسم الفاعل ﴿مُّنتَظِرُونَ﴾؛ لما دلَّ عليه السياق، أي: منتظرون لكم الفرصة لحربكم أو لإخراجكم[5].

بلاغةُ الاستئناف البياني:

الكافرُ العنيد ينتظر العذاب ولا يُبالي

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾؛ لما يحويه من الإجابة عن سؤالٍ متوقَّعٍ، وهو ما حال أولئك عند الإعراض وانتظار حكم الله فيهم، فكان الجواب: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾، مع ما فيه من تعليل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 243.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 139.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 271.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 243.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 244.

الأمر، أي: انتظر؛ لأنَّهم منتظرون غير مبالين بما سيقع عليهم من وعيد الحق سبحانه، بل يظنون أنَّهم سيُخرجونكم، ويقتلونكم، وفي التَّعليل تهكُّمٌ ضمنيٌّ بهم، مع الإشعار بالوعيد، فقد نزَّلهم منزلة من ينتظر العذاب غير مبالين بسطوته.

دلالةُ التَّوكيد:

يقعُ التَّوكيد مع العجب والدهشة

دلَّ التوكيدُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بأداة (إنَّ)، والجملة الاسمية، مع الإخبار باسم الفاعل ﴿مُّنتَظِرُونَ﴾، على إثبات توصيف حالهم؛ فإنَّ العاقل قد يتردَّد في شأنهم، وهل يُعقل الانتظار بعد الإعراض والانتظار؟ فكان التَّوكيد؛ لبيان حالهم التي تدعو إلى الدهشة والرجفة، من سوء الكفران، وفرط العناد.

بلاغةُ الجناس المستوفى في المقابلة اللفظية:

الفرق بين الانتظارين كاشفٌ عن التَّغاير بين الفريقين

أحدث الجناس المستوفى بين الفعل ﴿وَٱنتَظِرْ﴾، واسم الفاعل ﴿مُّنتَظِرُونَ﴾، جرسًا صوتيًّا بديعًا، حيث جذب الانتباه إلى تغاير الانتظارين، أي: وانتظرْ هلاكهم، فإنَّهم ينتظرون هلاكك، فانتظار النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله تعالى بعد وعده، وانتظارهم بتسويل أنفسهم والتعويل على الشيطان، وانتظار النَّبيِّ النَّصر مِن الله، وهم ينتظرون النَّصر مِن آلهتهم، وانتظار النَّبي عذابهم بنفسه، فإنَّهم ينتظرونه بلفظهم استهزاء[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التأجيل والإرجاء والإملاء والإنظار:

التَّأجيل تأخيرٌ محدود والإرجاء قد يصاحبه حبسٌ والإملاءُ يصاحبه الاستدراج والإنظارُ إمهالٌ

التأجيل: تأخيرٌ مع ضرب مُدَّةٍ مُحَدَّدةٍ للشَّيء المُؤَجَّل، وأصله استيفاء الأجل[2]، والإرجاء تأخير، وقد يكون معه الحبس، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦﴾ [الشعراء:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 152.
(2) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (أجل).

36][1]، أمّا الإملاء؛ فأشدُّ من الإمهال؛ لأنَّه يتضاعف به العذاب[2]، ويصاحبه استدراج لزيادة الإثم والخطأ؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: 178]، وفيه يحسب المتلبِّس بالإثم أنَّه قد نجا، فيُؤخذ بالعقوبة[3]، أمّا الإنظار؛ فهو الإمهال والانتظار المأخوذ اشتقاقيًّا من الترقُّب والتفحُّص؛ لأنَّ التفحُّص والتأمُّل يستغرقان زمنًا، وهو قريب من المعنى المحوريِّ المأخوذ من مواجهة العين بترقُّب وتهيُّؤ للالتقاط[4].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/ 332.
(2) السيوطي، معترك الأقران: 3/ 305.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 284.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نظر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»